

أسلمة علم النفس بين محمد عثمان نجاتي ومحمود البستاني (دراسة مقارنة)

The Islamization of Psychology between Muhammad Othman Najati and Mahmoud Al-Bustani (comparative study)

بن ضافي بنوة<sup>1</sup>، ناجم مولاي<sup>2</sup>

1 مخبر الصحة النفسية - جامعة الأغواط (الجزائر) ، bounaouabendafi1979@gmail.com

2 مخبر الصحة النفسية - جامعة الأغواط (الجزائر) ، n.moulay@lagh-univ.dz

تاريخ النشر: 2022/09/30

تاريخ القبول: 2022/09/10

تاريخ الاستلام: 2021/06/16

ملخص:

تهدف هاته الدراسة لإيضاح دور وأهمية الوحي والسنة في تأصيل وتوجيه علم النفس الإسلامي، كيف لا وقد شملت جهود أسلمة المعرفة كل ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية، بما في ذلك علم النفس كحقل مهم وحساس. ومن بين أهم رواده في عالمنا العربي والإسلامي المعاصر: "محمد عثمان نجاتي" (1914-2000م)، و"محمود البستاني" (1937-2011م)؛ اللذان أسهما في إنتاج دراسات وأبحاث حاولا من خلالها التأسيس لعلم نفس إسلامي ذو خصائص إسلامية صرفة، يتميز بها عن علم النفس الغربي منبعًا وتأصيلًا ومقصدًا. كلمات مفتاحية: أسلمة المعرفة، النفس، علم النفس، علم النفس الإسلامي.

ABSTRACT:

This study aims at clarifying the role and importance of revelation (holy Qu'ran) and the Sunnah in rooting and directing Islamic psychology. Why not, and the efforts to Islamize Knowledge have included all fields of human and social sciences, and including psychology as an important and sensitive field as well. Among the most important pioneers in our contemporary Arab and Islamic world: "Muhammad Othman Najati" (1914-2000 AD), "Mahmoud Al-Bustani" (1937-2011 AD); Who contributed to produce through their studies and researches in establishing an Islamic psychology with purely Islamic characteristics, distinguished from Western psychology as source, rooting and destination.

**Keywords:** Islamization of knowledge, psyche, psychology, Islamic psychology.

1- مقدمة:

أعطى الدين الإسلامي أعطى مكانة سامية للإنسان، وللإنسان المسلم بالخصوص، فهو صانع الحضارة ورائدها، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتميز بالضعف النفسي والجسماني، أو يتصف بالخور والكسل النابع من نفسية مضطربة؛ فهو بالضرورة إنسان قوي نفسيًا وجسمانيًا وروحيًا، ولا يتأتى له إهمال الجانب النفسي، لأنه مهما كانت القوة الجسدية والسلامة العقلية والنفسية لقيامه بوظائفه العبادية والتعمير، وصيرورة العلاقة والتواصل بينه وبين محيطه القريب والعام والعالمي بكل ما يقتضيه ذلك من شروط ومتطلبات، ولذلك اعتنى العلماء والمفكرون المسلمون بالجانب النفسي للفرد المسلم لخلق شخصية متوازنة من كل النواحي الروحية والصحية والنفسية؛ لأنه مناط التكليف، فلا بد له من القدرة على القيام بواجباته كاملة، وهذا لا يتأتى إلا أن يكون ذو نفس متزنة وجسم صحيح.

- المؤلف المرسل: ناجم مولاي

doi: 10.34118/ssj.v16i2.2467

<http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj/article/view/2467>

ISSN: 1112 - 6752

رقم الإيداع القانوني: 66 - 2006

ISSN: 2602 - 6090

إذ ينبغي على الإنسان أن يكون مبعثه صحيحاً وأساسه قوياً لتتوفر فيه شروط التكليف والاستخلاف في الأرض، وامتلاك القدرة على الإتيان بالأمر على الوجه والكيف الذي يرتضيه الخالق - جل وعلا-، فسبحانه وتعالى أرفأ بخلقه من أنفسهم يربهم ويرفع من شأنهم لذلك جاءت الرسائل والرسالة الخاتمة نبراساً لذلك في حفظ الجسد والنفس معاً، ولا يخفى مدى الأهمية التي تقتضيها روح المسلم السليم عقلاً ونفساً وجسداً، تزجيه لأن يدرك ويطلع ويبادر بروح وقدرة واستطاعة للاضطلاع برسالته وبوظائفه وما طلب منه على أكمل وجه، ويكون فرداً صالحاً وجزءاً لمجتمع صالح ينبري من خلفية ملؤها الصفاء النفسي.

وهذا ما دعا فلاسفة ومفكرو الإسلام القدامى والمحدثين لأن يبذلوا قُصارى جُدهم في دراسة النفس البشرية وعللها ودرجاتها وبواعثها والمقاصد المؤدية لها، ولا يخفى على أحد أن دراسة النفس البشرية شهدت على مر التاريخ تطوراً متسارعاً في أغلب عصوره، فقد قفز الغرب في القرون الأخيرة قفزات كبيرة في مجال علم النفس من خلال استعمال مناهج ووسائل متعددة، وبالتطرق لشتى مواضيع علم النفس وقضاياها دون الاكتراث بالمعيقات الدينية، والأفكار المتحجرة والمحظورات التي تستوجب عدم الخوض في الأمور النفسية الإنسانية بدون قيد أو شرط، وساعده في ذلك استيعاده للكنيسة والدين ككل والتحرر من قيودهما؛ أما في عالمنا العربي الإسلامي عكس ذلك فقد برز عديد من المفكرين والفلاسفة والعلماء لجأوا إلى تأصيل هذا العلم من منطلق يضع حرية الإنسان في اتفاق دائم مع الكتاب والسنة، منهم: "محمد قطب" (1919 - 2014 م)، و"محمد علي أبو ريان" (1920 - 1996 م) و"محمد عثمان نجاتي"، و"محمود البستاني".... وغيرهم.

ولما اقتصر بحثنا في مقدمته على قائمتين بارزتين لما لهما من إنتاج ودراسات وأبحاث هامة سعى من خلالها لتأسيس علم نفس إسلامي، وهما: "محمد عثمان نجاتي" و"محمود البستاني" اللذان عالجا هذا الموضوع بإسهاب، وكان لهما قصب السبق في تبيان أهميته، ومكانته، والتأصيل له، فسلكا منهج التوافق مع الدين الإسلامي للوصول لأرقى مستويات الكمال الإنساني. فإن إشكالية بحثنا تدور حول التساؤل التالي:

- كيف ساهم كل من "محمد نجاتي" و"محمود البستاني" في تأسيس علم نفس إسلامي يتميز عن علم النفس الغربي منبعاً، وتأصيلاً، ومقصدًا؟ وأين يكمن الفرق في منهجهما التأصيلي؟
  - حيث تتفرع عن هذا التساؤل تساؤلات أخرى أهمها:
  - ما المقصود بقولنا: أسلمة المعرفة، وعلم النفس؟
  - ما هي الخلفية الفكرية أو المذهبية التي حكمت تنظير كل من "محمد عثمان نجاتي" و"محمود البستاني" في تأصيلهما لعلم النفس إسلامي؟
  - وما هي المرتكزات والحجج والأدلة التي اعتمدها المفكران في سبيل تحقيق ذلك؟
  - وأين تكمن أوجه الاتفاق والاختلاف بين نهج "محمد عثمان نجاتي" و"محمود البستاني" في تأصيلهما لعلم النفس إسلامي؟ حيث تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بن نهج كل من "محمد نجاتي" و"محمود البستاني" في تأصيل علم النفس الإسلامي، مع عدم عزلها عن سياقها التاريخي، الثقافي، الاجتماعي...
- و لقد استعان الباحث بالمنهج المقارن، الذي يخدم حقل الدراسة خاصة أننا بصدد دراسة بين شخصيتين أفاضتا في البحث والتمحيص في مجال علم النفس، كما لهما إسهامات ومنشورات ومؤلفات هامة في حقل علم النفس الإسلامي إضافة إلى إبداعاتهم البحثية في مجالات أخرى تخص علم النفس الغربي والترجمة، وقضايا تهم الأمة الإسلامية والباحث المسلم بالأساس.

## 2- مفاهيم أساسية في البحث:

### 1-2- تحديد مفهوم أسلمة المعرفة:

#### 1-1-2- أسلمة المعرفة في المنظور العام:

يعتبر أسلمة المعرفة مفهومًا حديثًا، لم يكن موجودًا من قبل، بل هو مفهوم مُستحدث، فالأسلمة تم تداولها بشكل عام على أنها صبغ كل ما هو غربي بصبغة إسلامية، أو توجه لإضفاء الصفة الإسلامية للفكر والمعارف الغربية في شتى المجالات المعرفية، ونسبتها للإسلام دون جهد يُذكر، مع تطعيمها بالآيات والأحاديث النبوية هذا من جهة، ومن جهة أخرى إشباع الهوس بالتفوق الغربي، ومحاولة رَأب تلك الهوة بتبني علومه وفكره ونفي عقدة النقص عن المسلمين، وخاصة مازال الاعتقاد راسخًا بتفوق الحضارة الإسلامية، وهو حاجز نفسي بعدم الاعتراف بتدهورها من جهة، وفكرة بأنها أحاطت بكل العلوم والأفكار، والعلوم الغربية ما هي إلا تحصيل حاصل عن علوم الحضارة الإسلامية.

#### 2-1-2- التحديد اللغوي للأسلمة:

أسلم، يُسَلِمُ إسلامًا، الرُّجُل: انقاد، دخل في الإسلام (علي، هاديه وآخرون، 1991، صفحة 56)، وهي بذلك بمعنى: خضع، انقاد، أطاع.

#### 3-1-2- التحديد الاصطلاحي للأسلمة:

لقد وجدنا لأسلمة المعرفة العديد من التعاريف الاصطلاحية ننتخب منها البعض: يعرفها "محمود البستاني" بقوله: «يمكننا أن نحدد مصطلح المعرفة الإسلامية بأنها المبادئ التي رسمتها السماء، ملتحمة مع المبادئ البشرية في نمطها المجمل والنسبي للذين يهتديان إلى المعرفة الصائبة لحقائق السلوك، وماعداهما يظل معرفة غير إسلامية بطبيعة الحال» (مجموعة من المؤلفين، 2008، صفحة 329).

ويعرفها أبو القاسم حاج حمد بقوله: «فك الارتباط بين الانجاز العلمي الحضاري البشري والإحالات الفلسفية الوضعية بأشكالها المختلفة و إعادة توظيف هذه العلوم ضمن منهجي ديني غير وضعي» (أبو القاسم، 2003، صفحة 31).

#### 2-2- تحديد مفهوم علم النفس:

#### 1-2-2- التحديد الاصطلاحي لعلم النفس:

كان القدماء يُعدون علم النفس فرعًا من الفلسفة، لاشتغاله عندهم على البحث في حقيقة النفس وعلاقتها بالبدن، وبقائها بعد الموت، أما المحدثون فإنهم يجردون علم النفس من كل طابع فلسفي ويطلقون عليه اسم (السيكولوجيا)، فالسيكولوجيا عندهم هي البحث في ظواهر النفس للكشف عن قوانينها، لا البحث في جوهر النفس " كان نجد تعريفات أخرى لنفس عند الفلاسفة فقد كان القدماء يُعدون علم النفس فرعًا من الفلسفة، لاشتغاله على البحث في حقيقة النفس وعلاقتها بالبدن، أما المحدثون يجردون علم النفس من كل طابع فلسفي، ويطلقون عليه اسم (سيكولوجيا)، و(السيكولوجيا) عندهم هي البحث في ظواهر النفس للكشف عن قوانينها لا البحث في جوهر النفس " (جميل، 1994، صفحة 483). حيث وضع لفظ (سيكولوجيا) في القرن السادس عشر ميلادي، ثم شاع استعماله في القرن الثامن عشر ميلاد بتأثير (وولف)، ثم انتشر بعد ذلك في اللغات الأوروبية جميعها.

ويعتبر البعض علم النفس: "العلم الذي يدرس النفس من حيث هي محل لأحوال أو مصدر لأفعال لمعرفة طبيعة هذه الأحوال وشروط هذه الأفعال". (محمود، 1998، صفحة 165). فحين نجد من يقول بأنه: "علم دراسة السلوك الكائنات العضوية

الحية، بما في ذلك الكائنات الحيوانية والبشرية مع التأكيد على دراسة السلوك الفردي وعلاقاتها بالمنهات البيئية " (فاروق، 2003، صفحة 188).

وبلغة المعاجم المتخصصة، فعلم النفس: "هو العلم الذي يتخذ من السلوك، ومن مكونات النفس وما يعتمد بداخلها وما تشمل عليه موضوعا لدراسته العلمية" (فرج عبد القادر، دس، صفحة 308). فهو يستخدم القياس والتجريب والملاحظة وضبط المتغيرات والمعالجات الإحصائية والتحليلات الكيفية والمقابلات الكليينكية وجمع البيانات السابق تسجيلها من جهات الاختصاص حول ما يتعلق بالظاهرة المعنية موضوع الدراسة، كل هذا بغية الاستنتاج الصحيح أو التوصل إلى معرفة حقيقة الظاهرة موضوع البحث وتاريخها وكيفية نشأتها وتطورها وفهمها وتفسيرها. فحين عرف البعض بأنه "دراسة الحياة النفسية"، (المياء، 2006، صفحة 157). ويتفرغ علم النفس إلى عدة تخصصات منها: علم النفس المرضي، علم النفس الاجتماعي، علم النفس الجنائي، علم النفس التربوي،..).

### 3- نهج محمد عثمان نجاتي في تأسيس علم النفس الإسلامي:

يعتبر "نجاتي" من مفكري الإسلام الذين لهم باع واسع في دراسة علم النفس عمومًا، والسابقين الذين حاولوا التنظير لعلم نفس إسلامي خالص مستمد من الشريعة الإسلامية، وهو من الأوائل الذين قدموا دراسات من خلال كتابه (القرآن وعلم النفس) إذ تطرق فيه لجملة من المفاهيم النفسية الواردة في القرآن والأحاديث النبوية (محمد ع.، 2002، صفحة 457).

أما عن وضعية علم النفس في العالم الإسلامي، فيرى أن علم النفس، وكل العلوم ذات الصلة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية مبدؤها ومنتهها غربي صرف، ويتم تدريسها في عالمنا العربي والإسلامي في قالبها الغربي دون تمحيص، أو تحليل فهي تستمد أفكارها من الواقع الغربي وطبيعة الإنسان الغربي وتوجهاته، والغاية من الحياة؛ وهذا ما أدى لظهور دراسات لموضوعات تتوافق مع تصور الإنسان الغربي لما هو سائد لديه من ثقافة ومعايير (محمد ع.، 1989، صفحة 8،7).

ولتأسيس علم النفس الإسلامي حدد محمد عثمان نجاتي خطوات منهجية ضرورية عرضها لنا من خلال كتابه (مدخل إلى علم النفس الإسلامي)، تتمثل فيما يلي:

- تعاون فريق من علماء النفس من جميع تخصصات علم النفس المختلفة في عملية تأسيس علم النفس الإسلامي.
- أن يتعاون علماء النفس في هذه المهمة مع فريق من علماء الشريعة وأصول الفقه، وذلك بإلقاء الضوء على ما يوجد في الأصول الإسلامية من موضوعات تتعلق بالموضوعات التي بحثها علماء النفس، مما يمكن من مقارنة بين طرق تناول هذه الموضوعات في كل من الأصول الإسلامية وعلم النفس.
- يعمل الفريقين على وضع خطة معينة، توضع خطواتها بدقة، بحيث تؤدي في النهاية إلى الغاية المرجوة (محمد ع.، 2001).
- وقد رسم صاحب كتاب (مدخل إلى علم النفس الإسلامي) معالم هاته الخطة كالتالي:
- التمكن من علم النفس الحديث: لتكوين معرفة شاملة ودقيقة بموضوعات هذا العلم.
- التمكن من الأصول والمبادئ الإسلامية: لتكوين معرفة دقيقة بالأصول والمبادئ الإسلامية.
- معرفة الدراسات النفسانية للعلماء المسلمين: للإلمام بجميع الأبحاث والدراسات عن النفس التي قام بها المفكرين المسلمين من علماء الكلام والمتصوفة والفلاسفة، وكمثال على ذلك ما قدمه من خلال مؤلفه (الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين)، حيث تناول من خلاله موضوعات النفس مثل: الإدراك، الدوافع، الانفعالات والعواطف، قوى النفس، الفروق الفردية، الأمزجة، العقل...، عند كل من: (الكندي، أبو بكر الرازي، الفارابي، مسكويه، إخوان الصفا، ابن سينا، ابن حزم،

الغزالي، ابن باجة، ابن طفيل، ابن رشد، فخر الدين الرازي، ابن تيمية، ابن قيم الجوزية) (محمد ع.، 1993، الصفحات 23-281).

– إجراء البحوث في علم النفس من وجهة نظر إسلامية، بعد نقد موضوعات ومفاهيم علم النفس الحديث، نقوم بإجراء بحوث جديدة في كثير من المجتمعات الإسلامية من وجهة نظر إسلامية، بهدف حل مشاكل الناس المهمة من أجل تحقيق حياة أفضل لهم (محمد ع.، 2001، الصفحات 57-62).

ويمكن أن تجرى هاته البحوث في مسارين: « أحدهما: نظرية يتجه إلى القيام بنوعين من الدراسات النظرية: النوع الأول: هو عبارة عن دراسات تعنى بتوضيح وجهة نظر الإسلام في بعض الموضوعات والمفاهيم النفسية، والنوع الثاني من الدراسات النظرية: يعنى ببحث الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين السابقين لمعرفة آرائهم وإسهاماتهم في كثير من موضوعات علم النفس، والمفاهيم التي استخدموها، ومحاولاتهم المختلفة للتوفيق بين آراء الفلاسفة اليونانيين في بعض موضوعات علم النفس ومبادئ الإسلام. أما السار الثاني: فهو ميداني تجريبي: يعنى بإجراء بحوث ميدانية وتجريبية تهدف إلى إيجاد حلول للمشكلات التي يعاني منها المسلمون في الوقت الحاضر» (محمد ع.، 2001، صفحة 63).

وكأمثلة على المسار النظري (النوع الأول) نستدل بما قدمه محمد عثمان نجاتي في مؤلفه (القرآن وعلم النفس) حيث تعرض فيه إلى جملة من المفاهيم ودلالاتها في القرآن الكريم مثل مفهوم (الدافعية، الانفعال، الإدراك الحسي، التفكير، التعلم، العلم، التذكر والنسيان، الشخصية، العلاج النفسي) (محمد ع.، 2001، الصفحات 27-256). والغاية نفسها نكتشفها في مؤلفه (الحديث النبوي وعلم النفس)، حيث بحث عن دلالات عديدة من مفاهيم علم النفس الحديث في الحديث النبوي مثل: (الدافع، الانفعالات، الإدراك، التعلم، العلم، النمو، الشخصية، الصحة النفسية، العلاج النفسي) (محمد ع.، 2005، الصفحات 19-305).

أما بالنسبة (للنوع الثاني) نستدل عنه بما قدمه في مؤلفه (الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين) المشار لمضامينه سابقا بالإضافة إلى مؤلف المعنون ب: (الإدراك الحسي عند ابن سينا، بحث في علم النفس عند العرب) الذي تناول من خلاله كل ما له علاقة بالإدراك الحسي، انطلاقا من تقسيم الوظائف النفسية عند ابن سينا مرورًا بالإحساس الظاهر والشروط الفسيولوجية للإحساس، لينتقل للحديث عن الحواس الخارجية والحواس الباطنية ليشرح لنا كيف تتكون الصور في الحواس حسب ابن سينا الذي يختلف في تناول وظائف الحس المشترك عن أرسطو، لينتهي في الأخير إلى بيان طبيعة الانفعال الحسي في مذهب ابن سينا (محمد ع.، 1980، الصفحات 32-232).

#### 4- نهج محمود البستاني في تأسيس علم النفس الإسلامي:

المفكر "محمود البستاني" مفكر مسلم شيعي المذهب من مواليد النجف الأشرف، في جو ملؤه التقوى ويسوده روح الإيمان والولاء لأهل البيت وتدرج في التعليم في الحوزة الشيعية، إضافة لما أخذه عن والديه من الإيثار والكرم وإعانة الناس وإغاثة الملهوف عن تجربة، والتوسط لذوي الحاجات لدى أصحاب الجاه والسلطان كواسطة خير تقضى على يديه حاجات الناس وتحل قضاياهم، وكان له مسار علمي وفقهي حافل تدرج من خلاله بين العلم الشرعي، ونهل من العلوم الأخرى، وهذا ما أدى إلى صقل مواهبه الفكرية والمعرفية، وكان نصيرًا للقضايا الإنسانية والإسلامية ولعل أبرزها نصرته للقضية الجزائرية تأييدًا لها وشجبا للعدوان الفرنسي، وتشبعه بتعاليم وروح الثقافة العربية والإسلامية مما خلق عنده روح مثقف ومفكر مسلم ينافح عن قضايا أمته عن وعي وإدراك.

أما بخصوص علم النفس فيرى "البستاني" أن «علم النفس يُعنى بسلوك الكائن الأدمي في شتى مجالات نشاطه، بيد أن الزاوية التي يشدد عليها في مجالات النشاط تنحصر في العملية التالية الاستجابة حيال مثير معين» (محمود ا.، 1988، صفحة 7)، والاعتراف بالسبق الغربي في شتى مجالات المعرفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، والإحاطة بما أبدعوا فيه حتى تحصل لنا القدرة على مخاطبتهم على بيئة مما في أيديهم، ومحاورتهم على أساس علمي دقيق واكتشاف مدى الفروق بين العلم الأرضي والتعاليم السماوية المستندة للوحي وخاصة أن لديهم موقف سلمي من الدين ككل والكنيسة وتعاليمها. كما رأى أن للإسلام صورة خاصة للعلوم، والعلوم الإنسانية والاجتماعية وللوجود، كما له القدرة الحقيقية لأسلمة المعارف. حيث يميز "البستاني" بين معرفتين معرفة إسلامية متسقة مع ما هو بشري بمفهومين يسميها: المجمل والنسبي، وأخرى ليست إسلامية بعيدة عن جادة الصواب تتميز بالقصور والنقص، في حين النظرة الإسلامية السماوية تنزع للكمال المعرفي وتسمو به لأعلى المراتب والدرجات.

— فماذا عن علم النفس من منظور البستاني إذن؟.

#### 1-4- علم النفس من منظور محمود البستاني:

يتسق "البستاني" في تأصيله لعلم النفس والمعرفة وأسلمة المعرفة، بالخلفية المذهبية، فهو يربطها بالمذهب الشيعي وأئمة أهل البيت، وهو بذلك ينتصر لمذهبه ويعطيه الأولوية في التنظير لأسلمة المعرفة، ومن باب أولى العلوم الأخرى، وعلم النفس بالضرورة لما له من الأهمية البالغة في حياة الناس والأفراد، فلقد بذل جهوداً معتبرة في التأصيل لعلم النفس من خلال مؤلفه (علم النفس الإسلامي) الذي ارتكز فيه على الموروث الشيعي بالأساس، وركز على أحاديث الأئمة الشيعة، وله في هذا المجال رؤية خاصة مقارنة بنظيره الغربي، الذي يحصر الأمراض في علم النفس على كل ما هو نفسي وجسمي للإنسان فقط، بل يتعداها لإدخال الانحراف العقدي جزءاً من الأمراض النفسية، وهو سعي لتبيان أثر الدين والتشريع الإسلامي في توصيف المرض النفسي، فهو يربط بين ما هو سماوي وما هو أرضي.

كما قام "البستاني" باستعمال مفاهيم نابذة من القرآن والسنة كالشهوة والعقل وتناولها في علم النفس، وإخضاعها لنظريات، وإمكانية معالجتها من خلالها، وتوجيه المعالجات النفسية للأخذ بها. حيث استخدم منهجاً خاصاً سماه: التكيف الفقهي نابغاً من الإسلام والفقه الشيعي بالذات، جمع فيه بين ما توصل إليه العلم والرؤى الفقهية من جهة أخرى لتحقيق التكامل بينهما. وقد تميز "البستاني" بالتطرق لجانب مهم في حقل علم النفس كان مُهملاً لدى الغرب، ألا وهو الجانب التعبدي المكتسب من الدين الإسلامي، مخالفاً بذلك التصور الأرضي النازع للتمحور حول الإنسان واجتهادات الإنسان غافلاً عما سواها فتوفر السمات الشخصية ذات الصلة كالسمات: الذاتية، والعقلية، و العاطفية، والاجتماعية؛ ليضيف لها الصفات التعبدية التي لم يتطرق لها علم النفس الأرضي الذي يدور حول الإنسان فقط، هذا العلم المسى بالأرضي تسجبه طاقة سفلى غير مرتبطة بالسماء، ليس له التزامات أخرى غير ما هو محسوس فقط، مهملة للدين بالضرورة؛ فالجانب التعبدي مهم للحياة النفسية للإنسان، ولا ينفك أن يحيا بدونه (مولاي و قريون، 2019، الصفحات 85-106).

وباعتبار السلوك حقلاً خصباً في علم النفس، فينظر إليه في الغرب على أساس غريزي، أو ما يعرف بالنظرية الغريزية الداعية، لأن الدافع للسلوك هي الغرائز، وعلى العكس من ذلك يؤسس الإسلام العناصر المحددة للسلوك على أن كل إنسان تحكمه شهوة وعقل، فهو يتراوح بين الخير والشر، وهذا ما يتوافق مع قول ما جاء في الأثر لعلي بن أبي طالب (599-661م) -كرم الله وجهه-: «أن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة دون عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم» (الشيخ، دس، صفحة 54).

5- مقارنة فلسفية بين نهج محمد عثمان نجاتي ومحمود البستاني في تأسيس علم النفس الإسلامي:

أي مقارنة فلسفية بين جانبيين تستدعي الوقوف على أوجه التشابه وأوجه الاختلاف والشأن نفسه بين نهج كل من "محمد نجاتي" و"محمود البستاني" في تأصيل علم النفس الإسلامي:

1-5- أوجه التشابه بين النهجين:

يمكن تلخيص مواطن الاتفاق بين نهج نجاتي والبستاني في تأصيلهما لعلم النفس الإسلامي في جملة النقاط التالية:

- كلاهما ينهلان من مصدر واحد سماوي هو الوحي والاعتماد وعلى مصادر من السنة، كما يعتمدان على الدين وينتصران له، عكس علم النفس الغربي الذي لا يعترف إلا بما هو وظيفي وأسبقيته، بالإضافة إلى أنهما يسعيان لتأسيس علم نفس إسلامي مغاير لما هو غربي بمميزات وأسس خاصة إسلامية.
- استمدا نفس المفاهيم تقريباً التابعة من التشريع الإسلامي المأخوذة من القرآن والسنة، وتوظيف حملتها الدينية والفقهية والمذهبية في توجيه وإثراء علم النفس الإسلامي.
- استخداما النصوص والأحاديث في التدليل وإثبات الحالات التي يتعرضان لها.
- لهما محاولات للتطوير لنظريات تتوافق مع الإسلام ومنطلقاته ومقاصده وأهدافه، والتركيز عليها دائماً ووضعها دوماً في الصدارة في صياغة أي مصطلح.
- كلاهما قام بإدراج الجانب التعبدية في علم النفس الذي لم يكن موجوداً من قبل في علم النفس الغربي، وإدخال معتقدات جديدة لا يعترف علم النفس الغربي بها، كالغيب والثواب والحساب والعقاب، الوسوسة، الإيمان، هاته الأمور لا نجدها عند الغربيين ويستأثر بها المسلمون، ولهم في ذلك ترتيب خاص، فدرجات النفس تنقسم إلى عندهم إلى ثلاث: النفس الأمانة بالسوء، النفس اللوامة، والنفس المطمئنة (مجموعة من المؤلفين ، 2008، صفحة 139).
- كلاهما يعتمد تقديم الوحي على ما هو أرضي والعمل على تمييز علم النفس الإسلامي، باعتقاد نسق روحي بدني ديني في شكل متكامل للقيام بواجبات المسلم المكلف بها.
- ينطلقان من الإيمان بالغيب، المعاد، الثواب، والحساب، والعقاب، فعلم النفس الإسلامي يسعى لتزكية النفس والارتقاء بها في معارج السمو الروحي للوصول للكمال البشري، مع حفظ استيفاء الرغبات والاحتياجات الإنسانية مادامت في إطارها الشرعي المنوط بها.
- كلاً من "نجاتي" و"البستاني" يدركان مدى الأهمية وجود علم نفس إسلامي متميز عن غيره، بجهود وإبداعات إسلامية تتواءم وتتسق مع الدين الإسلامي، والوعي أن الإنسان المسلم غير الإنسان الغربي والبيئة غير البيئة، والتكوين العقدي والشخصية تختلفان؛ ومن ثم فالعلاج يختلف والوسائل والمناهج ستختلف تبعاً لذلك، فلذلك يؤكدان على التنسيق بين أهل الفقه وأصحاب الاختصاصات ودارسي علم النفس لتحقيق تلك الحلقة للحصول علم نفس إسلامي يشمل على الأبعاد الإسلامية، ويندمج مع روح العصر والتقدم الحاصل في شتى المجالات، فنفتت الفرصة على أصحاب التبعية والذوبان، ويكون هناك تأصيل وتوجيه ومعاصرة في الوقت نفسه (مالك، 2010).
- لدى كل من "البستاني" و"نجاتي" باع في الفقه والعلم الشرعي إضافة للعلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى، وهذا يعني أن لهما القدرة على الإحاطة الدينية والأكاديمية والمواءمة بينهما، وهذا ما خدم نهجها في بناء علم نفس إسلامي متأصل (مالك، 2010).

- يستند علم النفس الإسلامي على مسلمات تميزه عن علم النفس الغربي وهذا ما أبرزه كل من "محمد عثمان نجاتي" و"محمود البستاني" من منطلقات متأصلة في الدين الإسلامي.
- ومن بين المبادئ أو الأصول التي انتهجها "نجاتي" و"البستاني"، التي هي في الحقيقة من الأصول فالدين وفروعه نجمها فيما يلي:
  - أولاً: التوحيد، أول ركن فالدين الإسلامي فهو إثبات الوجدانية لله وحده عز وجل خالصة له دون غيره، لا وثنية ولا شرك، فالمسلم يطمئن لوجود قوة واحدة تسيّر الكون، فهو بعيد عن كل التناقضات النابعة من الأساطير والأفكار والمعتقدات الفاسدة (أبو القاسم، 2003، صفحة 10، 11).
  - ثانيًا: خلق الإنسان، المسلم على يقين بأن الله خالقه ولديه إجابات شافية ووافية عن أصله ومن خالقه فهو مرتاح من كل الأسئلة والتخبط الصادر عن النظريات والآراء المشككة في جذوره وهي جزء من مسببات الأمراض النفسية غربا، فهي تريخه وتزيح عن كاهله تلك التكهنات، فالمسلم عكس نظيره الغربي لا يؤمن بالصدفة في حصول الأشياء فله ربا يسير ويدير الكون بقدرته وأمره يقل للأمر كن فيكون، وجاء في الحديث النبوي كلكم لآدم وادم من تراب.
  - ثالثًا: تكوين الإنسان، للإنسان جانبان روحي وبدني، فتكوين الإنسان يشمل تركيبة عقلية تستلزم القيام بالتكاليف الشرعية إضافة للإشباع الغريزي فلا بد من التكامل الذي يخضع له الجسم والروح للإنسان المسلم الذي يتقيد بضوابط شرعية، يستوفي حقوقه ويؤدي واجباته دون إسراف أو تقتير كل ذلك مشروط بالاعتدال في الأمر كله، لا إفراط ولا تفريط، فالإسلام لم يأت مناقضا للفطرة السليمة للإنسان، بل جاء ليشبع متطلباته ورغباته حسب شروط محددة شرعا، فالحياة الزوجية لإشباع الرغبات الجنسية في إطار مؤسسة الزواج وحفظ الصحة والجسم والاهتمام بالذات في المأكل والمشرب واللباس، فهو متزن بين ذلك كله روحيا ووجدانيا واجتماعيا، ولا يغفل عن الجانب التعبدية الذي هو جزء لا يتجزأ من حياة المسلم، فالعبادات متسقة مع فطرة الإنسان من صلاة وزكاة وصوم وحج وغيرها من السنن المتواترة عن رسول الله -صل الله عليه وسلم-، فعلماء الإسلام قسموا الأعمال إلى عبادات ومعاملات (علي، 2020).
  - رابعًا: الإسلام لا يصادر ملكة التدبر العقلي للمسلم، بل يزكيه أو يدفعه دفعا لإعمال عقله في ما يعمر الأرض وهو المستخلف فيها، فيما يجر عليه النفع والخير في الدنيا والآخرة له وللناس كافة.
  - خامسًا: الإنسان المسلم اجتماعي بالضرورة ليس منقطعا أو متقوقعا على ذاته، فشبكة علاقاته مع الله أولا وبمخلوقاته ثانيا والأقربين علاقة ملؤها المودة والاحترام.
  - سادسًا: رسالة المسلم في الحياة، المسلم واع بمدى قصر حياته في هاته الأرض، هو على وعي بالرسالة التي خلق من أجلها فهو في دار دنيا هي دار عبور وليست دار قرار، فنقاعته ما هو مطلوب منه العبودية لله والاستخلاف في الأرض وتعميرها بالحق، وله مقصد من حياته عكس الغربي الذي يرى فيها حياة تنتهي بموت فقط، آخرة لا بعث لا حساب، فالمسلم لا يعيش عبثا فله مهمة محددة يسعى للقيام بها على أحسن وجه، فالحياة الدنيوية تنتهي بالموت وتبدأ حياة أخروية مكملة لها.
  - سابعًا: أصل المعرفة إلهية، فالمسلم موصول بخالقه يعلم أن الله مصدر المعرفة الحق لا تنفصل المعرفة بين هو مشهود وما هو غيبي، فبينهما اتساق وألفة؛ لأن خالقهما واحد، وهو ما يثبت العلاقة بين الإنسان المسلم ومكانته في الكون ومخلوقاته (أبو القاسم، 2003، صفحة 18).



- ثامناً: مادام خالق الكون واحد فإن له نواميس يسير عليها لا ينحرف عنها وعرفها للناس بأمر موقوتة ومحدودة.
  - كلاهما لهما رغبة صادقة في تأسيس علم نفس إسلامي وخدمة الفرد والأمة الإسلامية في ضوء الوحي والسنة والرفع من شأن الأمة الإسلامية وبعثها من سباتها.
  - اهتمامهما بالتنشئة النفسية للمسلم تكون سليمة وعلى أسس وقيم تهمل من جذورها الإسلامية، وتستجيب للواقع المعاصر من قضايا مستجدة.
  - اجتهادهما في تأسيس نظريات ومفاهيم إسلامية جديدة وتستفيد من البحوث المتوفرة في الضفة الأخرى.
  - الدعوة للعمل الجماعي، ومن طرف تخصصات عدة، والعمل المؤسسي، ودمجها مع بعض نظراً لتشعب العلوم والتخصصات؛ وبها يكون اقتصاد الوقت والجهد والإحاطة بما لدى كل العلوم الأخرى في هذا المجال.
  - كلاهما يسعى إلى العمل على الاستفادة من علم النفس الغربي وعدم رفضه كله، ونقد بعض النواحي لا يعني إزالة علم النفس الغربي من أساسه، أو انتفاء أهميته (محمد ع.، 2001، صفحة 67، 68).
  - كلاهما تطرقا لإغفال الغرب للسبق الذي لعلماء المسلمين في مجالات دراسة النفس البشرية وعلاج أمراضها.
- 2-5- أوجه الاختلاف بين النهجين:

- إن الفروقات التي يمكن أن نلتبسها في نهج كل من المفكران "نجاتي" و"البستاني"، وبالتحديد في تأصيلهما لعلم النفس الإسلامي نُلخص في جملة النقاط التالية:
- النسق العام لكتاباتهما في علم النفس يظهر تأثير المذهب جلياً في توجيه فكر "البستاني" و"نجاتي" في صياغة علم نفس إسلامي، وانتقاء مصطلحاته ونحتها تبعاً لذلك.
- التركيز على قضايا دون قضايا أخرى، وانتقاء النصوص والأحاديث نابعة من الخلفية الدينية، ونجد تأثيرها في توجيه المفاهيم النفسية والتأسيس لعلم نفس إسلامي تتدافعه أمور هي: الغيب، الإنسان، الكون، وآخر ما وصل إليه العلم.
- يحاولان على الاستدلال على الأمور النفسية وربطها بأيات وأحاديث متسقة، كل حسب فهمه للدين ودراستهما للفقهاء والخلفية، والبيئة، والثقافة.
- تناولا بالدراسة السبق الإلهي للمفاهيم النفسية من طرف الوحي بشكل مختلف، وفلسفة خاصة.
- قيامهما بجهود فردية استنزفت أعمارهما في حين المطالبة بالعمل الجماعي، دون الاندماج في عمل مشترك إسلامي مع ما يطبعه من خلافات مذهبية تبرز حينها معالجة المبادئ والمفاهيم، وصياغة الاصطلاحات؛ لأنها لها حمولة خاصة دينية ومذهبية.
- اختلافهما في المنهج وطرق التحليل، وطفغان الجانب المذهبي؛ على التأويل وإسقاطه على المفاهيم المستمدة من الغرب وتوظيفها (زينب، 2019، الصفحات 179-205).

#### 6- الخاتمة:

نستنتج مما سبق أن لعلم النفس الإسلامي مجال واسع، ولا يزال في بداياته في عالمنا العربي والإسلامي، فيمكن تدارك الفارق بين علم النفس الغربي ونظيره الإسلامي، ويمكن الاستفادة من التجربة الغربية في بناء علم نفس إسلامي أصيل ويستجيب للراهن، وذلك بنحت مفاهيم ومصطلحات تخدم المسلمين مع ما يتماشى من أصول الوحيين القرآن والسنة، ولهذا قد بادر الكثير من مفكري الإسلام ببذل جهود كبيرة من لدن: "محمد عثمان نجاتي" و"محمود البستاني"، في صياغة علم نفس إسلامي صرف،

أساسه ديني ويتسق مع ما هو إنساني خادماً للإنسان، حافظاً لكرامته؛ لخلق شخصية متوازنة نفسياً واجتماعياً متلائمة مع محيطها وبيئتها، للتفرغ للمهمة الكبرى العبادة والعمران والاستخلاف في الأرض، وتم في هذا الاتجاه إنتاج مؤلفات كثيرة والقيام بندوات ومؤتمرات حاولا من خلالها وضع الأسس والمناهج المؤطرة لعلم النفس الإسلامي والهوض به ليوكب علم النفس الغربي. وفي هذا السياق نجد أن الجهود كللت بالنجاح في رسم وفتح طريق لعلم النفس الإسلامي نابع من القيم والمبادئ الإسلامية، وفتحت الباب واسعاً للنهضة في أسلمة المعارف في العلوم الإنسانية والاجتماعية في شتى المجالات، ولم يسلم علم النفس الإسلامي من الخلفية والتكوين المذهبي في تأصيل هذا العلم من خلال الاعتماد على الميراث الفقهي، وصب تلك الحمولة في توجيه مفاهيم ومصطلحات علم النفس الإسلامي، وهذا ما يؤثر في تشتيت الجهود من أجل خلق علم نفس إسلامي متكامل جامع للأمة الإسلامية. وبناتقال الصراع الفقهي والسياسي لميادين الفكر، تضيع فرصة صهر جهود الأمة في بوتقة واحدة، مما يؤخر الأمة في النهوض من كبوتها، وتستنزف طاقاتها في صراعات جانبية، ويزعزع ثقة المسلم في الأخذ بعلم نفس إسلامي، ويتجه للعلم النفس الغربي عله يلتمس عنده نجاته، ويؤيد بذلك وجهة النظر القائلة بعدم جدوى قيام علم نفس إسلامي قوامه المبادئ الإسلامية، فما بالك تصدير وترويج لعلم النفس الإسلامي لدى الآخرين وخاصة للجاليات الإسلامية، فلا بد من التحلي بالجرأة والتمكين الفقهي والأكاديمي من العلوم الإنسانية والاجتماعية والعمل الجماعي في لجان ومؤسسات في مختلف التخصصات لوضع الخطط والمناهج ومتابعة العمل وتوحيد الجهود، وهذا ما أوصى به "نجاتي" و"البستاني"، والكثير من النخب لإرساء محاولة جادة في رسم معالم علم نفس إسلامي بحق، يكون صورة حقيقية لمبادئ السماء وعنواً لما وصلت إليه العلوم الأرضية في نقطة التقاء تحسب له والترويج لها عالمياً وإقناع الغير بها وبمزاياها، وتنقية وتصفية علم النفس من شوائب الاعتقادات الغربية والإلحادية التي تنافي الدين الإسلامي والكمال الإنساني الحقيقي.

#### - قائمة المراجع:

- البستاني محمود. (1988). دراسات في علم النفس الإسلامي (دط، مج 1). بيروت، لبنان: دار البلاغة.
- عثمان نجاتي محمد. (1980). الإدراك الحسي عند ابن سينا، بحث في علم النفس عند العرب (الإصدار ط3). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- عثمان نجاتي محمد. (1989). الحديث النبوي وعلم النفس (ط1). القاهرة، مصر: دار الشروق.
- عثمان نجاتي محمد. (1993). الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين (ط1). القاهرة، مصر: دار الشروق.
- عثمان نجاتي محمد، وآخرون. (1996). علم النفس في التراث الإسلامي (ط1، مج 2). القاهرة، مصر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- عثمان نجاتي محمد. (2001). مدخل إلى علم النفس الإسلامي (ط1). القاهرة، مصر: دار الشروق.
- عثمان نجاتي محمد. (2001). القرآن وعلم النفس (ط7). القاهرة، مصر: دار الشروق.
- عثمان نجاتي محمد. (2005). الحديث النبوي وعلم النفس (الإصدار ط5). القاهرة، مصر: دار الشروق.
- بدري مالك. (27 05 2010). التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ((3)) أسلمة المؤسلم. تاريخ الاسترداد 22 04 2021، من مونة الباقي: [https://www.baaqi.com/2008/01/3\\_30.html?m=1](https://www.baaqi.com/2008/01/3_30.html?m=1)
- جابري لمياء. (2006). معجم مصطلحات علم النفس (دط). القبة، الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع.
- حاج حمد أبو القاسم. (2003). منهجية القرآن الكريم المعرفية، أسلمة العلوم الطبيعية والإنسانية (ط1). بيروت، لبنان: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.
- دحروج علي. (02 05 2020). بين الفطرة والنفس عثمان نجاتي يرصد دوافع السلوك في القرآن (عثمان محمد نجاتي القرآن وعلم النفس). تاريخ الاسترداد 20 04 2021، من الشروق: <https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=02052020&id=7e099d42-f05d-4ecf-81be-03adb731e0cd>
- سحيري زينب. (7 2019). نحو منهجية للتأصيل الإسلامي لعلم النفس. مجلة العلوم الاجتماعية، ، مج 1 (8)، الصفحات 179-205.

- صليبا جميل. (1994). المعجم الفلسفي (مج2). بيروت: الشركة العالمية للكتاب.
- عز الدين توفيق محمد. (2002). التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي. القاهرة ، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة .
- علي هاديه وآخرون. (1991). القاموس الجديد للطلاب معجم عربي مدرسي ألبائبي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- مداس فاروق. (2003). قاموس مصطلحات علم الاجتماع (دط). الجزائر: دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع.
- ناجم مولاي، و علي قريون. (2019, 7). مشروع أسلمة المعرفة عند محمود البستاني (تأملات في المنطلق... وانتقادات في التصور). مجلة العلوم الاجتماعية ، 8 (2 مكرر، مج1)، الصفحات 85-106.
- فرج عبد القادره وآخرون. (دس). معجم علم النفس والتحليل النفسي (دط). بيروت، لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- وحيد الخراساني الشيخ. (دس). منهاج الصالحين. بيروت، لبنان: مكتبة الشارقي للمعلومات الدينية.
- يعقوبي محمود. (1998). معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام (ط2). الجزائر: الميزان للنشر والتوزيع.
- Helen, I., & Elaine, P. (1997). Oxford English Mini Dictionary (éd. 4). Oxford, British: Clarendon.